

## رسائل جامعية

سعيد سبعون: تصورات الشباب الجزائري للجنسانية. دراسة ميدانية لعينة من الشباب الجامعيين الحضريين. (تحت إشراف الأستاذ الهاشمي مقراني). رسالة دكتوراه في علم الاجتماع. جامعة الجزائر، 2006، 555 ص.

يقدم سعيد سبعون من خلال هذه الرسالة أطروحة مهمة تتعلق بوضعية الجنسية في الجزائر من خلال محاولة معرفة مدى تطابقها مع التحولات التي كان المجتمع الجزائري موضوعا لها فهل عرفت شيئا من التطور على مستوى التصورات أم مازالت في حظيرة التابوهات. وقد ركز الباحث اهتمامه على التصورات التي يحملها الشباب الجامعي الحضري. شكل ثلاثة مائة من طلبة جامعة الجزائر- تم اختيارهم وفق تقنية كرة الثلج- عينة دراسة لهذا البحث الميداني الذي جرى بين سنتي 2003 و 2004، بالاعتماد على وسيلة الاستمارة التي تضمنت ثمانين سؤالاً، موزعا على واحد و عشرين محور.

الرسالة جاءت في بابين رئيسيين، تضمن الأول الأسس النظرية للدراسة، عبر ثلاثة فصول، تطرق الأول إلى الجنسية كموضوع دراسة سسيولوجية، وتناول الثاني الجنسية لدى الشباب الجزائري من خلال الوعي و التصورات، في حين تناول الثالث تحولات المجتمع الجزائري منذ الاستقلال إلى يومنا هذا. أما الباب الثاني، فخصصه الباحث للدراسة الميدانية، حيث تناول بالشرح و التبرير الإجراءات العملية للدراسة و كذا النتائج الإحصائية للفرضيات في فصل رابع، ليخصص الفصل الخامس و الأخير إلى التفسير السسيولوجي للمعطيات الميدانية، فخاتمة عامة للدراسة تضمنت النتائج النهائية لهذا العمل.

تعكس رسالة الدكتوراه هذه، شجاعة الباحث الذي صمم رغم صعوبات كثيرة- تتعلق بطبيعة الموضوع أكثر من تعلقها بعوامل أخرى- لازمته من بداية البحث إلى نهايته، على محاولة طرح الجنسية كموضوع بحث علمي في مجتمع جزائري تسوده مقاومة تعرية الجنسية بواسطة خطاب إعلامي و سياسي مرجعته الضمير الجمعي المنطلق من الشرف، الحشمة، القدر و العيب .

فالجنسانية التي أصبحت من المواضيع غير المحظورة نظرا إلى السيدا، التي فرضت إعادة النظر في إيديولوجية التحرر الجنسي التي ميزت سنوات الستينات

(القرن العشرين)، ظلت إلى وقت غير بعيد - في حقل العلوم الاجتماعية بالجزائر-، مجال اهتمام الديمغرافيا، التي تهتم بالخصوبة وتباعد الولادات، و مجال اهتمام سيولوجيا الزواج و العائلة كالتحقيق الذي أجراه المركز الوطني للدراسات و التحليل من أجل السكان و التنمية حول تأخر سن الزواج في الجزائر. أما التعامل معها (الجنسانية) كظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها، فمازالت مغيبية في علم الاجتماع، الذي لم يبلور خطابا سسيولوجيا حولها رغم ح ضرورها بقوة في الواقع الاجتماعي، عبر مجموعة من المؤشرات : اعتبار سلوك المرأة و لباسها مشحونان بالإثارة، تبني خطاب عام يرى أن كل علاقة خارج الزواج هي جنسية بالضرورة، تشير التحليلات الخاصة بالمجتمعات العربية إلى أن دوافع العنف و التذمرات و العوائق المرتبطة بالهوية، ناجمة عن صعوبة إقامة علاقات الحب و العلاقات الجنسية.

تتجلى الجنسية كذلك من خلال التصورات التي ينتجها الأفراد، فالفرد الجزائري يتلقى تنشئة اجتماعية ضد جنسانية تقمع التعبير الجسدي و العاطفي، في وقت يكتسح فيه نموذج الاستهلاك الثقافي الغربي المجال الثقافي و العائلي الجزائري، فرأى الخطاب السائد هو أن هناك حرمان جنسي بسبب أزمة الزواج المرتبطة بدورها بأزمة السكن، وفي الوقت عينه تتخذ الأيروسية و الجنس اتجاهها عموميا غير مسبوق، ولّد لدى الخطابات السائدة فكرة أننا أمام جزائر مزدوجة : جزائر معيارية قيمية و جزائر تميل إلى تحرير الجسد من كل أشكال الرقابة التقليدية.

يخلق ترويج الإعلام الأجنبي لما هو جنساني في ظل علاقات ذات طابع "تقليدي" لتسيير الجنسية، صراع رغبات تهيجها الإباحة و الليبرالية الجنسية من جهة و تقمعها ترسانة المحرمات الاجتماعية و الأخلاقية من جهة أخرى، فهل تراجع "التصورات التقليدية" حول الجنسية أمام السهولة الجنسية التي يعرضها نموذج الاستهلاك الغربي؟ هل ما يعتبر لباسا مثيرا خاصة لدى الإناث، وما يسميه الباحث بالحب في الحدائق العمومية و مدرجات الجامعات، هي مؤشرات على تغيير في بنية تصورات الطالب الجامعي الحضري للجنسانية؟ هل هي تصورات جديدة أم معيارية تقليدية؟

إجابة على هذا التساؤل، اختار الباحث إدراج دراسته ضمن التحولات الاجتماعية للمجتمع الجزائري، حين حاول معرفة كيف أثرت هذه التحولات في

بنية التصورات حول الجنسانية، فخصص لها الفصل الثالث كاملا (من ص. 197 إلى ص. 304)، أين تناول بإسهاب و عمق كل جوانب التحولات الاجتماعية التي كان المجتمع الجزائري موضوعا لها منذ الاستقلال إلى سنة 2006. لينطلق على أساسها في تحليل نتائج الدراسة الميدانية، التي جاءت في شكل محاور مهمة للغاية نذكر بعضا مما نراه كاسرا للتابوهات بامتياز: مسألة العذرية، الزواج، العرس و ممارسة العلاقة الجنسية، ليلة الزفاف، النظام التعليمي و الجنسانية و ممارسة علاقة جنسية قبل الزواج.

فبالنسبة لمسألة العذرية أفادت الدراسة، أن تصورات الشباب الجامعي تعكس تشبنا بالعذرية من خلال رفض الشباب الزواج من فتاة فقدت عذريتها و رفض الشابات أية علاقة جنسية خارج إطار الزواج حتى مع إمكانية إصلاح العذرية طبييا، و هذا يعكس استمرارية تبعية الأفراد للجماعة التي لا تترك للفرد حرية تسيير أجسادهم.

أما بخصوص ليلة الزفاف و ما يرتبط بها من طقوس، كعرض القماش الملطخ بالدم، فقد بينت الدراسة أن الشباب الجامعي و بوجه خاص الإناث يرفضونها رفضا قاطعا، هنا تتجسد- يؤكد الباحث- قطيعة بين جيلين في تصوراتهم لتسيير الجنسانية، فالجيل الذي تمثله عينة الدراسة يفضل تسيير أول لقاء جنساني خارج بيت العائلة محاولة منه الافتكاك من سلطة الجماعة.

و كنتيجة عامة و رئيسة لهذا العمل، ظهر أن تصورات الشباب الجامعي، محكومة للنموذج السائد، هذا الأخير يربط الجنسانية بإطار الزواج دون سواه. فالتحولات المتعددة الأبعاد التي عرفها المجتمع لم تبرز الفرد كفاعل مستقل عن تأثير جماعة الانتماء، التي توظف الدين و القيم للإبقاء على تصورات الفرد ضمن النموذج المعياري للزواج.

## كلثومة أقيس